

## لقطات حية من الانتكاس

محمد يوسف محمد عدس

في لقطات أربعة من متابعة الانتكاسات المتواصلة: من ثورة يناير إلى قلب الثورة المضادة ، تصادف أنى سجّلتها في مثل هذا اليوم ٢٨ من مايو عبر ستة أعوام فإذا كانت كل لقطة تنتمي إلى ظروفها المواقبة وتشير إلى أحداث بعينها إلا أنها جميعًا تدل دلالة قاطعة على التردى المستمر الذى أريد تأكيده ، والسقوط المأساوي الذى تسير فيه مصر بعد الانقلاب العسكري ..

(١)

كتبت العام الماضي في ٢٨ مايو ٢٠١٦ أسترجم ذكريات عزيزة عن الثورة المصرية وما شهدت من آثارها على المفكرين والناشطين الأحرار في بريطانيا وأمريكا ، وكنت حينذاك مقيما في لندن حاضرا ومتابعا ومشاركا في ندوات حول موضوع الثورة المصرية .. قلت:

قرر الاتحاد العام لأعضاء هيئات التدريس بالجامعات البريطانية أن يوم الخميس ٢٤ مارس ٢٠١١ م هو يوم إضراب عام فى كل الجامعات فلا محاضرات ولا تدريس.. القاعات خالية وأبواب الجامعات مغلقة .. وبعدها بيومين [يوم السبت الموافق ٢٦ مارس] اندلعت مظاهرة عامة فى قلب لندن .. ثم يأتى الجزء الأهم بالنسبة لى حيث يجرى التواصل على أوسع نطاق بكلمة السر: [سنجعلها ميدان تحرير آخر .. جهّزوا خيامكم فسوف نعتصم فى الميدان كما فعل المصريون حتى يُستجاب لمطالبنا العادلة].. ومن يقول هذا الكلام..؟؟ إنهم صفوة الصفوة الذين هم فى قمة المجتمع البريطاني: من الأكاديميين والعلماء ورجال البحث العلمي.. يعتبرون ثورة مصر نموذجا يحتذى على أعلى مستوى !..

وعلى الضفة الأخرى عبر المحيط الأطلسي ، وفي قلب الولايات المتحدة هناك مظاهرات متواصلة ضد دكتاتور صغير هو حاكم "ولاية ويسكنسون" الذى قدّم إلى البرلمان مشروعا بقانون يحدّ من اختصاصات النقابات العمالية بالولاية خدمة لأصحاب المصالح المالية والصناعية الجشعة على حساب الطبقة العمالية والمتوسطة .. فخرج آلاف المتظاهرين معترضين على المشروع .. تُرى ماذا كتبوا على لافتاتهم..؟؟ كان الشعار السائد هو: [ناضل بقوة مثل المصريين..]! وتابعت فى السياق نفسه:

"نشهد اليوم على الساحة العالمية صورا من ردود الفعل على الثورة المصرية تتراوح بين الإنصاف والإعجاب إلى الحماس المثير أحيانا لما أنجزه الشعب المصري من نقلة هائلة على طريق الحرية والديمقراطية.. والأسلوب المذهل الذى سلكه الشعب فى هذا السبيل.. من حيث أخلاقيته وسلميته.. وإرادته الصلبة على التحرر من الظلم والفساد.. ولقد قرأت فى هذا المجال كثيرا من المقالات والتعليقات.. ولكن لفت نظرى بقوة كاتب معين لاحظت شدة حماسه وإعجابه بالثورة المصرية ، ذلك هو الكاتب الإنجليزي "جيلاد أتسمون Gilad Atzmon" اخترته بالذات من بين الآخرين لبعض مميزات وخصائص ينفرد بها: فهو يهودى إسرائيلي

الأصل وكان جنديا فى جيش شارون الذى غزا بيروت، وشاهد مجزرة صبرا وشاتيلا فى ثمانينات القرن الماضى.. فكفر بالصهيونية واكتشف بشاعة الكيان الإسرائيلى.. فأنحاز إلى الحق الفلسطينى. وعاهد نفسه أن يكرّس جهده لمناصرة هذا الحق.. ثم أنه إلى جانب شهرته فى الكتابة السياسية يتمتع بحس ثوري ، ربما اكتسبه من ناحية عشقه للفن، فهو فنان مشهور وموهوب ؛ يؤلف ويعزف الموسيقى .. كتب من وحي الثورة المصرية فى ١٢ فبراير ٢٠١١م مقالا بعنوان [القاهرة والقدس].. فيه كلام عجيب لم نتعوده من كُتّاب يهود إسرائيليين- من قبل.. يقول :

"لقد دأبت الحكومة الإسرائيلية والصهاينة عموما وبعض اليساريين، على شيطنة الإسلام والمسلمين .. ومع ذلك فإن الشعب المصري قد أثبت كيف أن الإسلام فى حقيقة دين سماحة وسلام.. على عكس الثورات الغربية عندنا التى خاضت فى بحار من الدماء ، فإن الملايين من المصريين صبروا على طاغيتهم ثمانية عشر يوما لكى يستوعب رسالتهم التى خرجوا لإبلاغها إليه ؛ اعتصموا فى الشوارع والبياديين يتظاهرون ويحتجون بصبر وإصرار، وكانوا يؤدّون صلاةً جامعةً خمس مرات فى اليوم".

"لقد أكدوا لنا بمسلكهم الحضاري السلمي وبقدرتهم على التنظيم أن الإسلام دين سلام.. وأنه بطبيعته ضد العنف.. وكانت الجماهير المصرية أعظم سفراء للإسلام وللسلام .. ففى أقل من أسبوعين لم يسقطوا النظام المستبد فقط ، وإنما أسقطوا معه الرّهاب المفزع [الإسلامو فوبيا] الذى روج له الصهاينة فى الغرب.. وضربوا لنا المثل الأعلى فى إصرارهم السلمى الأخاذ على انتزاع الديمقراطية، وإرادة الحرية.. لقد منحونا الفرصة بمسلكهم الانساني أن نرى الإسلام على حقيقته يتحرك على الأرض.. فلا غرابة أن نرى كثيرا من الأمريكيين والأوربيين قد برئوا من مرض الإسلاموفوبيا التى رسّختها الصهيونية عقودا فى رؤوسهم ..انقشع الخوف من الإسلام والمسلمين . ورحب الكثيرون منا بالمصريين واختيارهم الطبيعى الصادق: الإسلام والسلام"!!!

ويمضى جيلاد أتسمون فيقول: "لقد أصبح لزاما على القادة الغربيين فى غضون الشهور القليلة القادمة أن يتكيفوا مع الواقع الجديد.. عليهم أن يسرعوا بالاعتراف صراحة بقوة وجمال الإسلام.. عليهم أن يسترضوا بليون مسلم أو أكثر .. بدون طول انتظار.. وفى الأيام القادمة ، فإن على إسرائيل أن تواجه واقعها المشئوم .. فهى على وشك أن يدير العالم لها ظهره.. إن الكيان الصهيونى [بمخزونه النووى] بلا شك كيان خطر.. ونحن نبتهل إلى الله ألا تحيل إسرائيل -وهى فى طريقها إلى الهاوية- كوكبنا الأرضى إلى أنقاض"!!!  
هذه خلاصة رؤية جيلان أتسمون اليهودى الإسرائيلى-البريطانى ، للثورة المصرية وآثارها المستقبلية على الغرب وعلى إسرائيل" ..

(٢)

قارن بين هذه الصورة ، وبين الصورة العكسية التى شاعت فى العالم عن مصر وعن الإسلام بعد الانقلاب العسكرى ؛ فقد تبلورت هذه الصورة فى تصريحات الملياردير "دونالد ترامب" المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة الأمريكية.. استمع إليه وهو يعبر عن كراهيته

للإسلام ومقتته للمسلمين ؛ إذ يردد في لقاءاته الصحفية أن الإسلام في أمريكا "مشكلة يجب القضاء عليها" ، وقال: "لا ينبغي أن نسمح للمسلمين بدخول الولايات المتحدة" ، وأنه سيطبق هذا المبدأ عمليا إذا تم انتخابه رئيسا..

أقول: لست أدعى أن الانقلاب العسكري هو الذى أنشأ هذه الكراهية ؛ فهي ظاهرة قديمة ، موجودة ومرتسخة فى أعماق الثقافة الغربية على مدى قرون .. ولكنى أزعم أن ظهور "ذلك الانقلابي" الذى قضى على الثورة ومزق الثوار، واغتصب السلطة الشرعية ؛ وأخذ يحشد من حوله الأذعياء ، والملحدين .. قد صنع مناخا جديدا باتهامه للإسلام والمسلمين بأنهم خطر على العالم بمقتضى نصوص مقدسة فى عقيدتهم موروثه من ألف سنة مضت ، وأنهم يريدون أن يقتلوا ستة مليار بنى آدم فى العالم ..

أزعم أن هذا الانقلابي المارق قد ارتكب جريمتين تاريخيتين ضد الإسلام وضد الانسانية .. أنه : أولاً - قضى على المدّ الثوري التحرري لا فى مصر فقط ، بل فى العالم بأثره .. وثانياً- أنه قضى على بارقة أمل كانت قد بدأت تنمو وتتشكل فى قلب النخبة الغربية لإنصاف الإسلام والمسلمين ، والنظر إلى الإسلام لا كعدوّ أو مشكلة، كما تصوّره الصهيونية وأتباعها فى العالم .. وإنما كصديق ، وكدعامة قوية لانتزاع الحرية الانسانية من براثن الرأسمالية الجشعة ، وترسيخ السلام العالمي الذى اغتالته الإمبريالية الصليبية الصهيونية.. لقد اغتال الزنديق الصهيوني المارق النبتة الوليدة التى غرستها الثورة العربية ، ووضع مكانها بذرة صهيونية شريرة ستجنى ثمارها مصر والعرب والعالم ، مستقبلا شديد المرارة حالك السواد.

### ( ٣ )

ما رأيت ولا سمعت فى حياتى عن انتخابات تتم فى أجواء ومشاهد مسخرة كما حدث فى مصر سيسي ....! لقد عشت وقيمت بزيارات لا حصر لها فى شتى بلاد الدنيا وشاهدت انتخابات فى بلاد متقدمة وبلاد من العالم الثانى والثالث .. مسلمة وغير مسلمة ولم أر نساءً يرقصن على أبواب اللجان الانتخابية كما حدث فى مصر .. ولم أسمع أن وزير داخلية يستقبل النساء أمام اللجان بالأحضان والقبلات علناً إلا فى مصر.. ولم أرى ولم أسمع أن امرأة منتقبة عرت رأسها وانخرطت فى الرقص وهز الأرداف أمام مقر لجنة انتخابات إلا فى مصر ..

لا يمكن أن تكون هذه مصر التى عرفتها خلال ثمانين عاما من عمري .. أنا لا أتحدث عن تفاصيل العملية الانتخابية فهى تزوير مفبرك من ألفها إلى يائها ..! ولكنى أتحدث عن مصر المسخوطة التى طرحها الانقلابيون أرضا وانتهكوا عرضها وكرامتها علنا أمام العالم..

أعرف - عن يقين- أن أصل البلاء يكمن فى هذه المعادلة الكونية: حاكم مستبد فاسد تحكمه شهوة السلطة وفجور الطاغية اللص ، و طائفة من العبيد الأغبياء تستحسن وتصفق لتفاهة أفعاله وسفاهة أقواله .. وتحنى ظهرها ليمتطيته ؛ لأنه أطلق لهم شهوة البطن والجنس

ولخص الوطنية في تعريف جنسي واضح الدلالة "الوطن هو حضان" ..ونصب لهم راقصة لتكون هي الأم المثالية والنموذج ؛ فانطلقت الشهوات الفاجرة من عقالها..

لم أكن أتصور أن يصل الأمر إلى هذا الحد من الفجور والعلانية .. ولو لم أكن أثق أن هذا الانفلات الأخلاقي غير المسبوق لا يمكن أن يتقبله الشعب المسلم في مصر.. الشعب الذي ما يزال حياً ينبض قلبه بحب حقيقي لدينه ووطنه وقيمه الأخلاقية .. ويناضل من أجل هذه القيم ، ويرفض هذا الانقلاب العسكري الفاجر .. ومستعد للتضحية بحياته من أجل دينه وإنقاذ وطنه من العصابة الفاجرة .. لولا هذه الثقة لفجعت ويئست من مصر ومن مستقبل تيعيس ينتظرها على يد العصابة الانقلابية .. وأعجب كل العجب أن يكون هذا الأسلوب العلني الفاجر مبرراً في مصر الأزهر ؛ علماً بأنه تعبير مصنوع ولا يمكن أن يكون تعبيراً تلقائياً عن فرحة طبيعية ؛ فليس في مصر ما يستدعي الفرح منذ ٣ يولية ٢٠١٣ حتى هذه اللحظة!! فالكل يعلم أن مصر تسودها حالة سوداوية لكثرة الثكالي والضحايا واتساع رقعة الذين طالهم الإجرام والقتل والمذابح والاعتقالات وانتهاك حقوق الانسان وكرامته وأمنه .. فأهل مصر في حالة مأساوية لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذا البلد التيعيس..

(٤)

"نوربرت لامرت" رئيس البرلمان الألماني يكشف أسباب رفضه لقاء السيسي قال : "كنت أتمنى أن أعطي للرئيس المصري خلال زيارته هنا في برلين، إشارة قوية تدل على رغبتنا وإرادتنا لمتابعة التطور الديمقراطي في هذا البلد المهم [مصر].. لكننا نشهد منذ أسابيع وأشهر تصعيداً في ملاحقة المجموعات المعارضة ؛ فمنذ التغيير في السلطة قبل عامين، تم حل البرلمان المنتخب وطُرد رئيسه من منصبه ، و تم اعتقال أكثر من ٤٠ ألف شخص لأسباب سياسية ، وقتل أكثر من ألف شخص أثناء المظاهرات ، كما تم إصدار عدد لا يمكن تصوره من أحكام الإعدام بعد محاكمات مشكوك فيها.. ومن بين المحكوم عليهم قياديين يمثلون جماعات سياسية منافسة .. ولست أدري: ما الذي يمكن التحدث عنه بين رئيس برلمان منتخب [يقصد نفسه] وبين رئيس دولة -مع الأسف -لم يتم انتخابه بشكل ديمقراطي صحيح.. [يقصد سيسي]"

وأشار "لامرت" إلى أن جميع المنظمات الدولية ، المعنية بمراقبة وتقييم المحاكمات، قد اقتنعت بعدم وجود حد أدنى من الموضوعية وعدم التأثير السياسي في هذه المحاكمات ؛ ومن ذلك أن جميع القيادات السابقة لجماعة الإخوان التي تم انتخابها من أغلبية الناخبين ، لم تتعرض فقط لمحاكمات تفتقر للنزاهة ، وإنما لأحكام بالغة القسوة ، وهو ما يدل على التخوف الذي أشرت إليه .. وعلى أي حال لا يمكننا أن نقبل مجرد الحديث عن وجود رغبة للتطور الديمقراطي في مصر، فهذا لا يوفر الحد الأدنى لأجراء محادثات..

ولكن "لامرت" لأنه رجل واقعي يعرف حدود موقفه الشخصي ومسئوليته ولا يريد أن يلزم دولته بمقاطعة مصر ؛ فهو يرى أنه: على الحكومات أن تتواصل من أجل مصالحها ، بغض النظر عن مسألة الشرعية الديمقراطية .. فإذا كانت حكومتنا تريد إقامة علاقة مع حكومة لا

تتمتع بالشرعية الديمقراطية فهي حرّة في تصرفها وتحمل مسؤوليتها أمام الشعب الألماني!!..

ومن نفس المنطلق يلزم أن تتواصل البرلمانات وأن تتعاون مع بعضها...إذا كانت موجودة .. غير أنه بالنسبة لمصر لا يوجد فيها برلمان!.. " .. وهكذا يرفض البرلماني الألماني بسهولة شديدة برلمان "على عبال" لأنه برلمان مزيف لا ينطلي على أحد.. ولا يصدقه أحد.. خارج جدران مبنى مجلس النواب ..! وهذه هي الصورة الحقيقية المهينة لمصر في الخارج ، ولحكومتها الاستبدادية ، ولكن لا ينطق بها رؤساء الدول حرصاً على مصالح مادية يبعثر فيها رجل مجنون مليارات الدولارات في شراء أسلحة لا قيمة لها ولا حاجة إليها.. تماما مثل الـ ٤٥٠ مليار دولار التي دفعتها السعودية لأمريكا في شراء أسلحة لن تُستخدم ، وإنما ستتحول إلى حديد خردة يُلقى بها في الصحراء .. والكل يعلم أنها ثمن باهظ يستجدون به الحصول على شرعية أجنبية .. قفراً على إرادة الشعوب ورغباتها الحقيقية.

[myades34@gmail.com](mailto:myades34@gmail.com)

أشهر المقال في جريدة الشعب بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠١٧